المحاضرة الثانية

ومضـــات

من سورة الطـارق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين واحسن الله ختامي و ختامكم وفرج عنا وعنكم أجمعين، أما بعد: يقول الله تعالى في كتابه العزيز: قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ﴿٤﴾ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴿٦﴾ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ ﴾ الطارق: ١ - ٧

يلفت سبحانه النظر إلى شيء من خلق السماء فيقول والسماء والطارق، ثم يلفت الانتباه بصورة سؤال، فيقول: (وما أدراك ما الطارق)، ويأتي الجواب: (النجم الثاقب). فما هو النجم الثاقب؟

على الأرجح انه النجم الذي يخر في الليل وكأنه سهم مسرع، ويخلف وراءه ناراً وشراراً، ثم لا يلبث أن ينطفئ، وان مقدار ما يتساقط من هذه الشهب على الأرض في كل يوم يقدر ما بين ألفين وثلاثة آلاف شهاب، فما هي قصة تلك الشهب؟.

هناك نظرية علمية تقول: بأن بعض الكواكب تولد وان بعضها الآخر يموت ويتفتت، وتبقى هذه الأجزاء متناثرة في الفضاء تدور هنا وهناك؛ يقع بعضها على القمر، وبعضها على الأرض، وبعضها على كواكب أخرى.

فإذا وقع بعضها على القمر، فانه يرتطم بسطحه، ويعمل في جسمه فوهة، حتى أن بعض الفوهات على سطح القمر يبلغ قطرها (150) ميلاً، بحيث تستطيع أن تراه ليلة البدر بمنظار صغير.

وهنا يأتي السؤال الكبير وهو: لماذا لا يوجد على سطح الأرض مثل تلك الفوهات؟ ولماذا لا يحدث مثل ذلك الدمار، طالما أن هذه النيازك المتفتتة يسقط بعضها على الأرض؟؟؟ .

ويأتي الجواب بان الأرض تتعامل مع هذه الوافدين إليها بثلاثة أشكال وهي: إما أن تطردها بعيداً عنها؛ وأما أن تقسمها إلى شطرين، أو أكثر من ذلك [1]، والتعامل الثالث هو: أن تسحبها وتشدها بقوة الجاذبية إلى أحد قطبيها.

---

[1]) هناك نظرية فلكية تقول: بان القمر لو اقترب من الأرض أكثر من اللازم، فان الأرض ستشقه إلى قسمين، أو أكثر: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ).

وتبدأ عمليه التسارع للنيزك في الانجذاب إلى الكره الأرضية من مئات الأميال؛ فإذا ما ارتطم بالغلاف الجوي احترق وظهر على الشكل المعهود في الليل، وهذه هي الحالة التي يعبر عنها القرآن الكريم بالنجم الثاقب.

ولذا فقد قام العلماء بتصفيح الطائرات المقاتلة بنوع رقيق من الفولاذ، وذلك تفادياً لاحتراق الطائرة إذاً ما سارت بسرعة أكثر من سرعة الصوت؛ ولاتقاء خطر القذائف المعادية ...

و أمر آخر هو....أن هناك مذنبات تأتى لتزور الكرة الأرضية، وهي تثير الهلع في قلوب الراصدين لها، بحيث تتجاوز الحد المعقول، ولكنها تعود أدراجها بعد ذلك.

فهناك مذنب " اكارّ" وهناك مذنب " هالي " وهناك مذنبات غيرها فبعضها يأتي بزيارة كل " 75 " سنة وآخر كل " 50 " سنة، وهكذا يقول الله تعالى عنها -﴿ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ ﴾ التكوير: ١٦

وتقول في اللغة كنس الأسد، ولكنك لا تقول كنس الفأر، وذلك لأنها أمور خطيرة وليست بالسهلة، وتوضيحاً لذلك أقول: إن مذنب " أكار " لو سقط على الكرة الأرضية لدمر مساحة قدر مساحة فرنسا مثلاً، فلو افترضنا أن حدث مثل ذلك فهل ستبقى الكرة الأرضية تدور بنفس السرعة التي كانت تدورها؟؟!!

أسئلة طويلة محيرة، والعلماء في نقاش حائرون فيما يفعلون، حتى كان أحد هذه الاقتراحات يقول:

هل نرسل صاروخاً محملاً بالقنابل الذرية والهيدروجينية، بحيث يدمر المذنب، فينزل إلى الأرض قطعاً متناثرة؛ والحمد لله فلم يفعلوا؛ إذ لو انفجر الصاروخ كما حدث لبعضها فان الخطر أعظم بكثير..

والنبي صلى الله عليه وسلم يخبرنا أن في آخر الزمان يظهر كوكب الذنَب....

نعود إلى محور حديثنا فلقد قال الله تعالى

﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفَۢا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ٣٢ ﴾ الأنبياء: ٣٢

، فلقد أثار الخرق في طبقة الأوزون هلعاً عند علماء الطبيعة الذين نبهوا الناس إلى أن المدنيةفي القرن العشرين قد أتت بالويلات للعالم، إذ من المعروف: أن الغلاف الجوي يحمي البشرية من أخطار الإشعاعات الضارة الموجودة في الكون، والتي تنبعث من هنا وهناك، حيث عادت عليه مدنيته بالثبور.

وهنا نرى انه قد اتضح لنا شيء من معنى هذه الآيات وإعجازها، ولكن المعنى يتضح أكثر عندما نرى الربط بما بعده أي بقوله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ ﴾ الطارق٤، ثم بعدها يأتي قوله تعالى ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ ﴾ الطارق: ٥

وقبل التعرض لخلق الإنسان نحاول أن نلفت النظر إلى قوله تعالى﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ ﴾ فالحافظ ليس واحد بعينه، و إنما هو اسم جنس.

فلو ذهبت إلى طبيب صديق، وأردت أن تعمل لنفسك فحوصاً، فانه يعطيك خمس ورقات ذات ألوان وأهداف مختلفة، في كل ورقة ما يقارب عشرين بنداً [5×20= 100]، وفي المائة فحص هذه، لو كان عندك فحص واحد أقل من المطلوب، أو أكثر من الازم، فأنت على خطر داهم، علماً بان هناك أكثر من مائة فحص يمكن إضافته على هذه الأوراق، هذا عدا العقل والروح..الخ .

﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ ﴾

الدافق المسرع، ولماذا هو مسرع في نزوله على دفعات؟! إنه؛ لكي يتجاوز بسرعة منطقة مليئة بالجراثيم، ويصل لكي يلقح البويضة ((والرسول صلى الله عليه وسلم يوصي فيقول: ((لا يقعن أحدكم على امرأته كما يقع البهيم على البهيمة، وليكن بينهما رسولاً. قالوا: وما الرسول يا رسول الله؟ قال: القبلة والكلام))([2])

والحكمة في ذلك أن الرجل عندما يداعب زوجته، فان مادة شفافة لزجة تنزل منه تساعد على تطهير الممر من الجراثيم، وكذلك المرأة، وبذلك يتفادى الحيوان المنوي الجراثيم من أن تعلق به كي لا يأتي الولد مشوهاً.

إن السرعة للكوكب ساعدت في تدميره لتنجو أيها الإنسان؛ كما أن السرعة في الإنزال ساعدت في نجاة النطفة، وذلك من أجلك أيها الإنسان.﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ الانفطار: ٦ - ٨

وينزل في كل جماع ما يعادل وسطياً نحو (200,000,000)، مائتي مليون حيوان منوي. و يتسابق الجميع نحو البويضة للتلقيح، والذي يلقح هو حيوان منوي واحد، بعدها تغلق البويضة عن كل الحيوانات المنوية الأخرى، وفي ذلك حكمة و أيما حكمة، فلو سمح لهذه الملايين بالدخول لكان الناتج بحجم الذر؛ فاقتضت الحكمة أن يكون التلقيح لحيوان

---

[2]) (رواه أبو منصور والديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس،وإتحاف السادة المتغني للزبيدي ج5ص372/العراقي بهامش أحياء علوم الدين/ج2ص52).

منوي واحد....وهناك بعض الحالات الشاذة، وذلك بسبب حبوب منع الحمل أو أشياء أخرى.. يكون فيها المولود متعددا.

إذا فمن علَّم البويضة أن تغلق على نفسها بعد التلقيح بأول حيوان منوي؟. ([3]) إنه الخالق العليم الذي قال في محكم كتابه﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢ ﴾ الفرقان: ([4])

وتكون البويضة محاطة بالمشيمة كما تحاط العروس بالصبايا ليلة الزفاف؛ فإذا ما تم التلقيح انسحبت المشيمة ومعها البويضة، فدقت جدار الرحم، وارتطمت في أعلاه ؛ لتمتص منه الدماء اللازمة لحياة هذا الجنين.

وهنا يظهر بجلاء الإعجاز القرآني في قوله تعالى:﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ الأحقاف: ١٥ فأما وضعته كرهاً فمعروف منذ القدم، وأما حملته كرهاً، فلم يُعرف إلا في القرن العشرين، إذ من يحب أن يؤخذ من دمه قطره واحدة...

القرار المكين

يقول الله تعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ﴾ المؤمنون: ١٣

والإعجاز القرآني هنا يتضح بأربعة أوجه:

الوجه الأول: أن الحيوان المنوي الملقح للبويضة يستقر في الرحم، والرحم يشبه صحن الماء؛ لكي يخفف الاهتزاز، وهذا الإناء يكبر بالتدريج، حتى إن حجم الرحم يكون عند الحمل بحجم البيضة (5 سم3)، وفي آخر الحمل يكون بحجم البطيخة (5 –15 لتر)، وهذا الماء ينزل قبل الولادة ليسهل عملية الانزلاق...

الوجه الثاني: أن الرحم تحيط به الكبد والطحال والأمعاء والمعدة؛ كي تحميه أيضاً من الاهتزازات، ويحيط بالجميع من الخارج عظام الحوض والقفص الصدري والعمود الفقري؛ لكي تحميه من الصدمات.

الوجه الثالث: أن الجنين يتغذى بما يعرف " بالحبل السري " وطول هذا الحبل 50سم تقريباً،ولعل سائلاً يسأل ويقول: لماذا لم يكن طوله مترين؟!

---

[3] واستطرد هنا لأقول إن اليهود يحاولون تكثير عددهم، بكل وسيلة ونحن نحاول تقليل عددنا بكل وسيلة، هم جابوا الدنيا ليجمعوا لكي يكثروا، ونحن أتينا بكل أدوية العالم لتحديد نسلنا(راجع إن شئت كتابي خمس افتراءات على أعلى المقامات /فصل خطورة تحديد النسل)

[4] ويقال أن رجلاً كان في قرية وضعت زوجته بشيء لم يعرفه سوى انه كومة لحم، وكانت الدنيا مثلجة فآخذ هذه اللحمة (البقجة) وألقاها على الثلج، وبعد أيام ذهبوا ليروا ما هذه (البقجة) فإذا بها 18 طفلاً كل واحد منهم طوله شبر فقط.

و الجواب: أنه لو كان طول الحبل السري مترين؛ لالتف حول عنق الطفل، ولاختنق الطفل في الغالب في بطن أمه أثناء تحركه يميناً وشمالاً. أو التف على يده فصارت قصيرة، أو التف على رجله فصارت شلاء.

ولعل آخر يقول: لماذا لم يكن الحبل إذاً قصيراً جداً؟ !

والجواب:أن المولود عندما يخرج من جهة رأسه، ويبدأ باستنشاق الهواء، فان الحبل السري يبدأ بسلخ المشيمة من أقصى الرحم؛ فلو كان أقصر من ذلك؛ لانسلخت المشيمة قبل أن يستنشق الهواء، وبذلك يموت الطفل قال تعالى ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ الفرقان: ٢

وفي خروج الطفل من جهة رأسه حكمة وأيما حكمة؛ فلو نزل من جهة رجليه لمات عند خروجه ذاك؛ لما قد عرفت من انقطاع الأوكسجين بانقطاع الحبل السري.

والوجه الرابع: من قوله تعالى﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ هوأن هرمون" الاميونسي " هرمون الاستقرار، وظيفته أن يقول للطفل لا تخرج إذاً أراد الخروج –قبل الموعد المقرر– لأنه لا يزال صغيراً.

والعجيب أن الأم قد تجوع، وقد تعطش، وقد يتساقط شعرها، وقد تصاب بفقر الدم أثناء الحمل؛ لكن المولود لا ينقصه شيء. فلقد وصلت نسبة الدم في إحدى النساء إلى درجة متدنية حوالي 22، ولكنها عندما وضعت، وفحصوا دم الطفل وجدوا النسبة هي 57 أي فوق المطلوب، ولكن هذه الزيادة لها ما يبررها وهي اختلاف دم الأب عن دم الأم، ...وحتى أن ألام قد تطلب لنفسها شيئاً أثناء الحمل في حالة تسمى الوحام (الوحم)لأن طفلها يكون بحاجة لذلك.

رحلة العودة

وتبدأ الاستعدادات لرحلة العودة والنزول إلى سطح الأرض قبل موعد الولادة، بثلاثة أشهر. وتجري لذلك الاستعدادات التالية: –

1– زيادة حمض خضاب الدم: وهي المادة التي إذا أضيف إليها ماء وملح، فإنها تصبح دماً عادياً: كمثل كأس سكر ومعلقة شاي إذاً أضيف إلى الماء الساخن، فإنها تصبح شاياً جاهزاً للشرب؛ وهذا للتعويض عن الدم الذي ستفقده أثناء الولادة.

2– زيادة مولد الليفين: وهي مادة تكون ذائبة في الدم؛ لكنها إذاً شمت رائحة الهواء، فإنها تتحول بسرعة إلى خثرة أو جلطة.

إلا ترى إلى شخص عندما(يترعف) وينزل الدم من انفه كيف يكون دمه أحمرا صافياً؟ ! ثم تزداد كثافته، ثم يصبح قِطعاً، ثم يقطع النزيف مطلقاً.

3- الاستعداد الثالث للولادة هو: **زيادة الكريات البيضاء** في الجسم:- وذلك لتلافي هجوم الجراثيم في حالة الضعف العامة التي تنتاب المرأة وطفلها؛ لوجود الجراثيم في المهبل.

4- الاحتفاظ بكمية من الماء والملح والمواد الأخرى للتعويض عما يفقد في المخاض.

أما رحلة العودة العجيبة فإنها تبدأ بهرمون مضاد للهرمون الأول، وهذا الهرمون يبدأ بالضغط على أعلى الرحم، ونفس هذا الهرمون يؤثر على أسفل الرحم ويوسع الممر.

ويبدأ الطفل بالنزول بعد أن يستدير رأسه إلى الأسفل، وبعد ساعات تعد بالسنين من عمر المرأة ينزل الطفل، وعندما يستنشق الهواء يبكي كناية عن تدشين المعمل الكبير الهام " الرئة "، ويبدأ بأخذ الأوكسجين اللازم للقلب بل وللحياة:

ولدتك أمك يا ابن آدم باكـياً والناس حولك يضحكون سروراً

فاحرص على يوم تكون إذاً بكوا في يوم موتك ضـاحكاً مسرورا

وسؤالي هنا هو هل يستطيع الإنسان أن يؤدي حق ألام ...؟ اللهم لا وألف لا.

نعود إلى حالة ألام التي انتزعت منها المشيمة من أقصى الرحم؛ إذ أن هذا الانتزاع هو رحمة بحد ذاته، إذ لو بقيت المشيمة أو أي جزء منها داخل الرحم لكان في ذلك خطر و أيما خطر.

وهنا تلاحظ الدقة في الأمر: فلو كان الحبل السري غير متين أو غير متماسك بما بعده لكانت الكارثة، ولو كان تماسك المشيمة مع الرحم أقوى مما هو لازم لخرج الرحم مع المشيمة وهذا كارثة أيضا... ولكن الله سلم.

ومع هذا وذاك فان مشكلة خطيرة لا تزال قائمة هي أن المشيمة عندما تنخلع من الرحم، فإنه يحدث نزيف خطير في مكان لا يمكن علاجه بالطرق العادية !! فماذا يحدث؟؟ ...

هنا ينكمش الرحم بصورة رائعة ليعود تقريبا إلى حجمه الطبيعي قبل الحمل، وعندها تشعر المرأة بكتلة لحمية مؤلمة في بطنها...

لا تخافي إنها بشارة السلامة فان الرحم قد انكمش كما قد قدر له الباري عز وجل، ومع ذلك فان النزيف يستمر أربعين يوماً على اغلب الأحوال.

صبر وكرم وحنان....

وهي من آيات الرحمن

عن أبي هريرةτ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم

الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه))([5]) إن الذي خلق الطفل قد أودع في قلب أمه الحنان فهي التي تجهز له الملابس قبل الولادة – وتحاول اختيار اسم مناسب له.

ولئن كان من المعلوم أن كل إنسان يصاب بجرح، فإن الناس يقومون بتقديم الهدايا والطعام له، إلا أن هذه ألام هي التي لا تلبث إلا يسيراً حتى تقدم لطفلها الحليب الطازج المناسب مصداق قوله تعالى ﴿ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ٦٦ ﴾ النحل: ٦٦

ونجد أن هذا الطفل لا أسنان له. أنبعث به إلى طبيب أسنان ليأخذ له القياس أم ماذا.؟

أيها الإنسان إن من الحكمة أن لا يوجد للطفل في فمه أسنان، وذلك لأنه قاصر العقل، فلو كانت له أسنان لما فتئ يعض بها ثدي أمه، فتجرح حلمة الثدي مما يجعل الحليب يتلوث بالدماء، والدم مجلبة للجراثيم كما تعلمون. فسبحانك يا من تنزل الأرزاق بقدر!

﴿ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧ ﴾ الشورى: ٢٧

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان

إن الأم عندما تقوم بإرضاع طفلها الوليد، فإن الله تعالى يكرمها بهرمون اسمه oxotocin يفرز من الدماغ يساعد على تقلص الرحم وإعادته إلى حجمه الطبيعي.

و تأتي معجزة من السنة النبوية: فمن السنة أن يحنك الطفل بالتمر؛ وذلك بمضغ تمرة جيدة مغسولة جيداً بفمٍ غير مصاب بأمراض، أو بدعك التمرة بعد النظافة بشاشة معقمة، أو يوضع مع التمرة ماءً حتى ينزل الماء المختلط بالتمر في حلق ذلك الطفل؛ لأن التمر يحتوي على جميع السكاكر والفيتامينات والأملاح اللازمة للغذاء والنمو والوقاية، وكذلك من السنة أن تآكل المرأة من التمر لان فيه فيتامين "ك" والذي يساعد على التخفيف من النزيف و كذلك فيه فيتامين " أ" الذي يقلل من إفرازات الغدة الدرقية مما يؤدي إلى الاطمئنان الخ

﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ ﴾ مريم: ٢٥

ومن السنة أن يؤذن في أذن الطفل اليمنى، وان تقام الصلاة في أذنه اليسرى، وليس من السنة مثلاً أن يوضع أمام الطفل مصحفاً ليراه؛ لأن ذلك الطفل لا يرى إلا بعد الأسبوع الأول، لكنه يسمع منذ اللحظة الأولى، وهذه معجزة نبوية أخرى.

فإذا ما كَبُر هذا الإنسان رايته يشبه أباه أو أخاه أو عمه أو خاله أو أحد أجداده، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون.

---

[5]) صحيح مسلم ج: 4 ص: 2108

أعجبُ من العجب

وقد سمعت أن حبة قمح قد كتب عليها آية الكرسي بأكملها، والحق أن أعجب منها أن شجرة التين خلقت على بذرة من بذور أمها، والأعجب منهما: أن كتب الإنسان على جزء من مائتي مليون جزء من دفقه من ماء مهين.

ويأتي الهدف الكبير والتعقيب الخطير الذي يحاول الإنسان أن يفر منه﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ۝١٠ ﴾ الطارق: ٨ - ١٠

إنه لا بد من الوقوف أمام قيوم السماوات والأرض يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

فلو جاء مندوب شركة كبرى وتحدث قائلاً:

نحن اخترعنا جهازاً عجيباً له مواصفات كثيرة، ثم لما سُئل فأين هو؟ فقال المندوب: تركناه حتى يأكله الصدأ، ثم لا حاجة لنا به، فهل تصدق ذلك...؟! اللهم لا.

إن في كل عين 120 ألف عصب بصري ملون، و180 ألف عصب بصري غير ملون، وفي الكلية أكثر من مليون كبكوبة تبول، وفي الجلد أكثر من مليون خلية تعرق، و في الرئة أكثر من مليون خلية تتنفس، وفي الكبد أكثر من مليون خلية، وفي الدماغ أكثر من 10 ملايين خلية تذكر. ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ۝١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ۝١١٦ ﴾ المؤمنون: ١١٥ - ١١٦

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ۝١٤ ﴾ الطـــارق: ١١ - ١٤ **والســماء ذات الرجـع** : فطبقة ترجع الأشعة الضارة خارج الكرة الأرضية، و أخرى ترجع الأمواج اللاسلكية بعد اصطدامها بالطبقات العليا، و ثالثة ترجع المطر إلى الأرض..و كل طبقة من الطبقات السبع لها رجع خاص بها والله اعلم .

فآما رجوع المطر: فانظر إلى البحر كيف تشرف الشمس عليه فيخرج منه بخار الماء، ولكنه ماء ليس فيه أوساخ ولا أملاح؛ بل هو ماء مقطر، فجعل الله من خواص هذا البخار أن يرتفع ([6]) فوق الجبال، فإذا أراد الله له إنزالا بعث عليه جبهة هوائية باردة ساعدته في التكاثف بعضه على بعض وعاد للهبوط إلى أسفل.

[6] قلت لصديقي : لماذا تضع سيارتك على سطح البيت ألا تخاف عليه؟ فأجابني:إن وزن سيارتي لا يتجاوز وزن متر ماء مكعب،فتذكرت قدرة الخالق الذي جعل الماء الثقيل يطير في الهواء بدون منطاد ولا طيار ولا حملة، رغم ثقل الماء.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ ﴾ النور: ٤٣

وهذا المطر يكون برحمة الله تعالى دقيقاً، فلو كان كبيراً لهدم المنازل، وقتل البشر وكسر الأشجار، وخرب الثمار، كما حدث في غزة قبل أعوام، وفي الصين بعد ذلك حيث كانت حبة البرد تزن 1كغم.

ثم كانت الغيمة برحمة الله تعالى قريبة من سطح الأرض، ولو كانت بعيدة وتسارعت القطرات في نزولها لفقأت العين، وخرقت الأذن. ولكن الله سلم.

وهنا ينزل المطر فيغسل الأرض ويهلك الجراثيم، ويغسل النفس من داخلها: كما يغسل البكاء عين الإنسان وهمومه..

ويكون المطر على ثلاثة اضرب: قسم للشرب والري الفوري، وقسم في آبار الجمع، وقسم يدخر في الجبال التي صممت لتكون كالخزانات الكبيرة. فقل سبحان الله.

فإذا كان الخزان كبيراً فانه يشكل ضغطاً قوياً، بحيث ينفجر منه نهر كبير، وان كان الخزان صغيراً شكل ضغطاً خفيفاً بحيث ينتج منه عين صغيرة، وكلاهما لا ينضب ماءه في وقت الصيف ([7]).

و ماء الصحراء يحتوي على ملح أكثر؛ لكي يسد حاجة ساكن الصحراء من الملح عند التعرق، ويكون في الجبال العالية حلواً؛لكي لا يشكل ضغطاً غير ضروري على الكليتين.

فإذا شربه الإنسان خرج من فمه حلواً؛ ليستطيع تذوق الأشياء، ولكنه يخرج من عينه مالحاً لكي يحفظ شحمه العين، ويخرج من أنفه حامضاً؛ لكي يتأكسد مع الجراثيم والغبار القادم، ويخرج من الأذن مراً؛ لكي لا تقترب من الأذن أي ذرة أو نملة، وذلك لأن الأذن غير مغطاة كما هي الحال في العين مثلاً.

وهنا يعرف الإنسان عظمة الخالق جل وعلا، ويعرف أنه لا بد من العودة إلى الله تبارك وتعالى. وهنا يقف أعداء الإنسان ليصرفوه عن الحق تبارك تعالى:

﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾ الطارق: ١٥ - ١٦

صدق الله العظيم. والحمد لله رب العالمين.

والآن أرحب بأسئلتكم ومشاركاتكم.

---

[7] لكن حين تدخل الإنسان بحفر الآبار الارتوازية، بدأت أغلب الينابيع تجف، فكان تدخله عبثاً في حال ظن أنه يعمل لأجل سعادته.

س1: لماذا لا نستعمل للطفل عند الولادة شيئاً من الزبد بدلاً من التمر؛ لأنها تذوب في الفم بسرعة؟

ج1: الزبدة يا أخي طرية وتذوب في الحلق، ولكنها مادة صعبة على الهضم، فلو أعطيت الولد (زبدا) لتأذى أيما إيذاء.

إن التمر يبدأ وصوله إلى الدم خلال خمس دقائق ثم تتكامل خيراته وبركاته إلي أن يصل إلى أعلي تركيز في الدم خلال ساعة واحدة؛ أما الزبدة فلا تصل فائدتها إلى الدم ألا بعد مضي 4–6 ساعات، وأنا أوضح لك ذلك بتجربتين:

الأولى: إذاً رأيت إنسانا قد أغمى عليه وذلك لقلة السكر عنده (لا لزيادتها كما يحدث عند ألا كثرين)؛ فان علاجه يتم بسهولة، وذلك بوضع حبة تمر أو سكر في فمه، وبعد عدة دقائق تجده يستيقظ؛ لأن السكر وصل دماغه بسرعة.

والتجربة الثانية: أن الصائم في رمضان إذاً افطر على اللحم والدسم والماء البارد، فانه يشعر بالبرد والفتور والكسل، بل وربما شعر بالدوخة، وربما بدا يراجع ما في بطنه.

أما لو افطر على التمر وحده مع قليل من الماء، وصبر إلى أن تمضي ساعة كاملة، فانك تجده نشيطاً لا عليه باس، وهذه معجزة فان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد الإفطار مباشرة ((ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله))(أبو داود/الصوم/2357)، ذلك أن الماء يصل خلال دقائق إلى الدم، ومن ثم يوزع على العروق..

واكبر تجربة كانت لي في عمرة في رمضان في أشهر الصيف، إذ كنت أجد مشقة كبيرة في الصيام، فإذا حان وقت الإفطار افطر على جرعة ماء من زمزم مع سبع تمرات فقط، ومن ثم أقوم إلى صلاة المغرب، وإذا بالجوع والعطش الشديدين قد زالا تماماً. ([8])

س2:آري أن عندك بعض المعلومات المفيدة **فهلا تحدثت لنا عن التمر؟**

ج2: لا نريد أن نخرج عن الموضوع، ولكني أريد أن أحدثك عن الإعجاز العلمي في قول الرسول صلى الله عليه وسلم ((يا عائشة بيت لا تمر فيه جياع أهله، بيت لا تمر فيه جياع أهله))([9])

([8]) وحين كنت أصلي بالناس التراويح في شهر رمضان، وكنت أطيل القراءة قليلاً ، وكان بعض المصلين يتضايقون، فقلت لهم:أنا أقرأ الفاتحة، والسورة القصيرة، والله أكبر طالع نازل (تكبيرات الانتقال)، وانتم ماعليكم إلا أن تقولوا معي:آمين .فإن كانت ثقيلة فاتركوها لي، وحينما تعجبوا قلت لهم: السبب أني أفطر على قطف عنب فقط (هو مثل التمر في تركيبه مع زيادة بعض الدهنيات) ولا أتناول الإفطار إلا بعد التراويح، فهل عرفتم قيمة الإفطار الصحيح؟

إن اغلب الأطعمة التي نتناولها في كل وجبات حياتنا تحتوي أحيانا على ثلاثة سكاكر: سكر العنب، وسكرالفاكهة، وسكر القصب، والتمر موجود فيه كل هذه السكاكر وبكميات كبيرة.

ثم أن الإنسان لا يكتفي بالطعام، ولو كثر إلا إذاً كان فيه فيتامينات؛ فالبحارة البريطانيون كانوا يعودون بعد رحلاتهم منهكين، فزادوا لهم كمية اللحم عدة مرات فلم يتحسنوا، ولما زادوا لهم الليمون والخضرة عادوا بحالة حسنة للغاية، وقللوا لهم اللحم وبقوا على تحسنهم؛ و من ثم اكتشف العلماء الفيتامينات.فهل تعلم أن اغلب الفيتامينات موجودة في التمر، وبنسب عالية، وبصورة طبيعية غير مصنّعة.

ثم أن الجنود الذين يتدربون في البلاد الحارة؛ يفقدون كثيرا من الأملاح فينهارون ويكسلون، ولا سبيل إلى استعادة عافيتهم إلا بالأملاح، فهل تعلم أن اغلب الأملاح موجودة في التمر؟ !

فمن منا يستطيع أن يجمع كل هذه الفوائد أمام مائدة طعامه، ثم هو يستطيع التهامها وهضمها؟؟! أما إذاً وضع التمر فانه فيه كل هذه الفوائد.

فالمهم في الطعام ليس بكثرته ولكن بفائدته.

فكثير من المراجعين للعيادات من الأغنياء، و يصرف لهم الطبيب فيتامينات، ويتعجبون لذلك فهم أكثر الناس أكلاً للطعام؛ ذلك لأنهم يأكلون ولا يهضمون، بل الطعام يطرد بعضه بعضاً؛ أما الفقير فتجده يأكل قليلاً ويعمل كثيراً ولذا تراه قوياً قليل المراجعات المرضية. وأنا أحيلك للاستفادة أكثر وأكثر إلى كتاب الغذاء لا الدواء للدكتور المرحوم صبري القباني.

س3: أيهما افضل حليب ألام أم حليب العلب المعقمة بأحدث الآلات؟

ج3: انه وبإجماع العلماء فان حليب ألام هو الأفضل؛ وان العلماء الذين يصنعون الحليب البديل يحاولون تقليد حليب ألام.

فإذا مرضت ألام أو توفيت وذهبت إلى الطبيب قال لك: استعمل أولا حليب نصف دسم، ثم بعد مدة استعمل حليب دسم كامل. وتجد على العلبة مكتوب الأسبوع الأول، الأسبوع الثاني، الأسبوع الثالث، الشهر الثاني، الشهر الثالث.. فلماذا يا ترى؟!

انه تقليد لحليب ألام..

فحليب ألام يبدأ فيه الدسم قليلاً ويكون الماء كثيراً؛ ثم يتدرج الدسم في الزيادة ...ولذا فان الذي يريد أن يرضع طفلاً من أم أخرى يجب عليه أن يراعي أن لا يكون فارق كبير في

---

[9] الترمذي وأبو داود ابن ماجة وأحمد. مسلم /الأشربة/2046.

السن بين الطفلين، كما أن الذي يريد أن يتخذ من الحليب زبدا وجبناً لا يأخذه من الأيام الأولى للحليب بل كلما تأخر كانت النسبة أكثر.

معجزة أخرى:

يقول الله تعالى﴿ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ٦٦ ﴾ النحل: ٦٦.فالطعام في المعدة إذاً خرج يسمى قيئاَ، وإذا خرج من المستقيم سمي برازاً، أما إذاً كان في الأمعاء، فانه يسمى فرثاً، وهذا ما أثبته العلم الحديث، فان منطقة الاستفادة العظمى من الطعام هي في الأمعاء، والى هذا يشير القرآن الكريم بوضوح.

الإعجاز الثاني: حيث ينتقل الغذاء إلى الدم، ثم ينتقل إلى الثديين فيخرج بهذه الصيغة الصالحة تماماً لحال الطفل؛ علماً إننا لو حللنا حليب ألام بدقة (إلكترونيا) لوجدنا أن هناك فرقاً دقيقاً في الحليب ما بين كل حلبة وأخرى.

أما قوله تعالى لبناً فانه لو حصل اختلال معين في عمل الثدي لأصبح الحليب سماً زعافاً.

أما قوله تعالى خالصاً أي نقياً من الشوائب.

أما الحليب المجفف فانه يوضع معه مواد حافظة؛ وهذه المواد الحافظة عليها تساؤلات كبيرة حول تأثيرها على صحة الإنسان؛ بل هي متهمة بالتسبب ببعض السرطانات.

ويا أخوتي الكرام: ماذا أقول إذاً كان هناك أستاذا يدرس في كلية الطب قد كتب هذه الآية على اللوح واقبل على تلاميذه يشرح لهم عن الحليب أربع حصص ثم سألهم قائلاً:

يا طلابي الأعزاء: هل يوجد فرق بين ما درستكم إياه في الطب وبين هذه الآية القرآنية التي كتبتها لكم على اللوح، ثم تظاهرت لكم بعدم الانتباه لها؟ !.

نعم إننا نريد معلمين يفهمون واجبهم في الربط بن العلم والإيمان مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ ﴾ الروم: ٥٦

والحمد لله رب العالمين،

والصلاة والسلام

على رسوله

الأمين.